عوّاشة أو الجنيّة عيشة في قسنطينة (الجزائر)

بين طقوس النشرة ومديح الفقيرات



الجنيّة عائشة أو عوّاشة في مدينة قسنطينة



من اكثر شخصيات الجان شعبية في منطقة المغرب العربي (تونس والجزائر والمغرب) ، ولها من الألقاب «لالة عيشة» أو عوّاشة مولات البرمة او«عيشة السودانية» او «عيشة الكناوية» يلجأ اليها النساء والرجال في قسنطينة ، حتى لقبها المغرب «قنديشة» الذي يجر النطق به لعنة غامضة ، وفي قسنطينة كذلك ، عويشة بايّة ، وفي تونس عايشة بايّة ، وفي الجنوب السلطانة عيشة .

تتميز الذاكرة الثقافية لمدينة قسنطينة ببنية أنثروبولوجية معقدة تتداخل فيها الهوية العربية-الإسلامية مع رواسب المعتقدات الشعبية القديمة. ومن أبرز هذه الممارسات طقس "**النشرة**) "وهو طقس استحضار وتطهير روحاني)، الذي تُديره مجموعات نسوية تُعرف بـ "**الفقيرات** ."تحتل شخصية الجنية "**عيشة** "

)أو عواشة) مركز هاما في هذا العالم الغيبي، ليس بوصفها كائناً مرعباً، بل كـ "كيان متبوع" يتطلب الاسترضاء لشفاء الجسد والنفس.

ويوجد مكان في قسنطينة وهو برمة الغابة ، تدخل فيه النساء للعوم والتبلل بالماء الذي تعتبره مباركا كل امرأة ذهبت إليه وأكرمها الله بمولود أو شافاها الله من مرض .

الجنيّة عيشة أو عوّاشة في لهجة القسنطينييّن يلبسون لها اللون الأبيض أو اللون الأبيض المنقط بالأسود ، فعيشة الموجودة في قسنطينة كروح أو كجنيّة هي صاحبة الواد ، مولات البرمة ، مولات لحناني ، مولات الغابة وهكذا تمدح عليها الفقيرات ، وهي فرقة شعبية تستعين بها ويستعين بها من يؤدي طقس النشرة لترافقه بالأنغام والدق على آلة البندير والطار ، فجوق الفقيرات يؤدي معزوفات كثيرة باستخدام خمس دفوف ومعها آلة الرق أو الطار .

بالنسبة الى الانثربولوجي الفنلندي (وستر مارك) الذي درس اسطورتها بعمق يتعلق الامر باستمرار لمعتقدات تعبدية قديمة، ويربط بين هذه الجنية المهابة الجانب (عشتار) الهة الحب القديمة التي كانت مقدسة لدى شعوب البحر الابيض المتوسط من القرطاجيين والفينيقيين والكنعانيين، حيث الذين كانوا يقيمون على شرفها طقوسا للدعارة المقدسة، وربما ايضا تكون «عيشة قنديشة» هي ملكة

السماء عند الساميين القدامى اعتقدوا قبلنا في انها تسكن العيون والانهار والبحار والمناطق الرطبة بشكل عام.

والطريف في تداول الاسطورة ان تأثيرها لا ينحصر في اوساط العامة فقد كتب عالم الاجتماع (بول باسكون) في (اساطير ومعتقدات من المغرب) يحكي كيف ان استاذا اوروبيا للفلسفة في احدى الجامعات المغربية كان يهيِّئ بحثا حول «عيشة قنديشة» قد وجد نفسه مضطرا الى حرق كل ما كتبه حولها وايقاف بحثه ثم مغادرة المغرب، بعدما تعرض لحوادث عدة غامضة ومتلاحقة.



مغارة عوّاشة / لالّة عيشة وهي جنيّة من الدّاخل

وهذه المغارة موجودة في قسنطينة (الجزائر) في مصب الشلالات التي يصب فيها واد الرمال الكبير وفيها منابع المياه وكذلك قريبة من جسر الشيطان

1/ طقوس عوّاشة أو لالّة عيشة أو مولات البرمة (بركة الماء) :

تلبس لها نساء قسنطينة وزحتى الرجال من الذين يمارسون طقس النشرة أو الزار كما يسمّى في مصر والشرق العربي ، يلبس في قسنطينة اللون الأبيض أو الأبيض الذي فيه خطوط سوداء ، أو نقاط سوداء ، وهذا وصفه الباحث الأنثروبولوجي الفرنسي الذي جاء إلى قسنطينة عام 1873م ، في مقال عنوانه " Rituels spirituels des femmes en Afrique du Nord"، وقال بأنّ نساء من قسنطينة وحتى من تونس ورجال كذلك كانوا يقصدون عوّاشة في بركة المياه التي كانت تظهر فيها بصورة إمّا مرعبة وإمّا جميلة ليلا ، فكان من يريد تقديم طلب والاتصال بهذه الجنية يبيت عند هذا المكان الذي فيه المياه ويسمّيه القسنطينيّون " البُرْمة " ، فتظهر له عوّاشة أو لالّة عيشة وتخاطبه وتقضي ما يطلبه منها .



مغارة عوّاشة وكان فيها منبع ماء تمتلئ به البركة
داخلها فتأتي النساء لتقديم الذبائح والتبرك
وعوّاشة اسمها الحقيقي عائشة وهي إحدى الجنّيات
وفي فن الفقيرات عندها أغنية باسمها وهي ما يقابل

وهذا المدخل في مدينة قسنطينة في
منحدرات شلالات وادي الرمال

2/ اعتقاد ممارسي طقس النشرة في عوّاشة أو لالة عيشة :

كما تغنّي الفقيرات وهي فرقة نسويّة في منطقة الشرق الجزائري ، فإنّ عوّاشة هي جنيّة تظهر بشعر أحمر طالقة قطاطيها أي سوالف شعرها ، محنية يدّيها أي يديها بالحناء ، وتقول الفقيرات في المديح " حاجتي تقضيها " أي أنّ من يقصد مكان الجنيّة عيشة / عواشة في قسنطينة فإنّ له حاجة يطلبها منها .

وكانت النساء كما يصف مقال الباحث الفرنسي ، يقدّمن بخور المصطكى والعود الطيب ، ويلبسن ثياب بيضاء أو منقوطة بالأسود ، ويذبحن دجاجة بيضاء

أو بيضاء وفيها أسود ، ولا تزال النساءوحتى الرجال يزورون المكان ويشعلون الشموع ، ويضعون الحلوى والطمينة (عصيدة متماسكة من الدقيق والعسل والسمن) ، كل هذا تأدية لجزء مهم يهتم بالجنية الأنثى في طقس النشرة في مدينة قسنطينة ، وهي احتفال واتصال بعالم الجن والروحانيين .

ولا ننسى وجود ما يسمّى بديوان " لبنات " أو بنات الجن ، في قسنطينة ، ومازال من يمارس هذه الطقوس محتفظا بهذه العادات الروحية الضاربة في جدور التاريخ للمدينة ، وكل جنيّة عند من يمارسون هذه الطقوس في قسنطينة لها اسم : فهناك الجنية مريم أو لالة مريم ، وهناك لالة ريمة أو ميرة كذلك ، وهناك عويشة بايّة أو معروفة الحضر وغيرها ، كل هذه الجنيات تابعة للملوك الكبار .



3/ ظهور الجنيّة عائشة / عوّاشة :

إذا كان في المغرب عيشة القنديشة، أو لالة عيشة، أو عيشة السودانية، أو سيدة المستنقعات هي أسماء أطلقت على الجنية الأكثر شعبية في المغرب. ترسمها الخرافة على أنها امرأة بالغة الجمال تخفي خلف ثوبها الأبيض قدمين تشبهان حوافر الجمال أو البغال أو الماعز. ويُزعم أنها تظهر ليلاً في الغابات وبجوار المجاري الراكدة وأن عشاءها المفضل هو لحم الرجال.ويُقال إن جمال عيشة القنديشة فائق الوصف وأنها تفتن كل رجل يراها فتغويه وتستدرجه إلى وكرها وتمارس الجنس معه ثم تقتله وتتغذى بلحمه وتشرب دمه. وبحسب الأسطورة، لا شيء يقهرها إلا النار. ففي إحدى الروايات عنها، يحكى أنها اعترضت سبيل رجال كانوا في طريقهم عائدين إلى قريتهم فأوشكت على الإيقاع بهم إلا أنهم نجوا بعد أن أحرقوا عمائمهم وذلك بعد أن لاحظوا أن أرجلها هي أرجل ماعز.



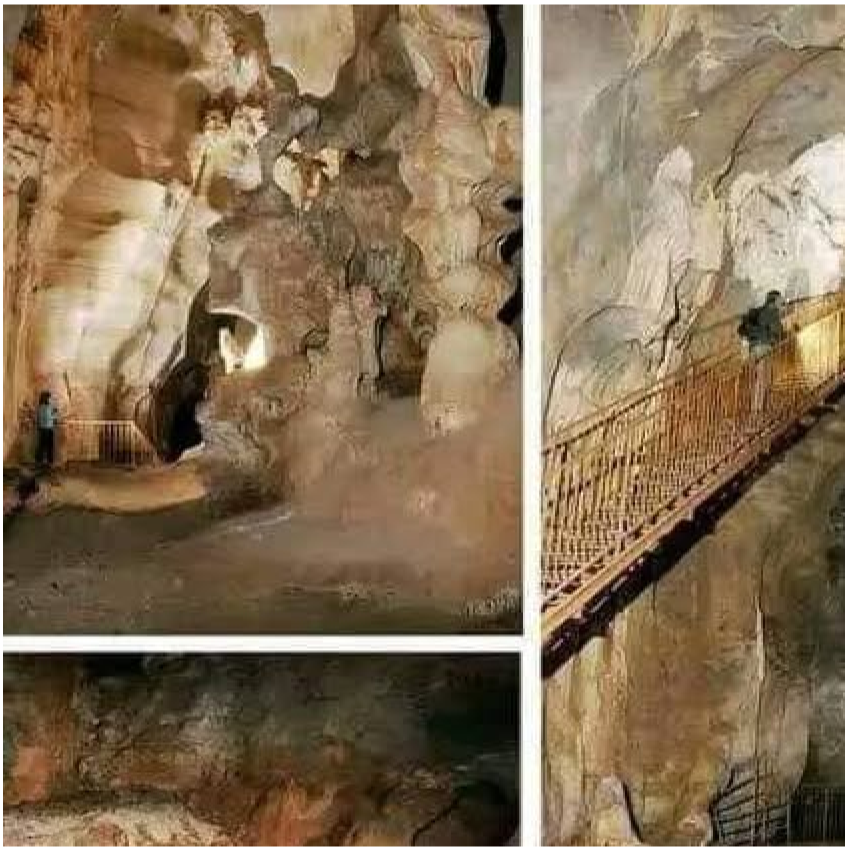
مغارة عوّاشة وكان فيها منبع ماء تمتلئ به البركة
داخلها فتأتي النساء لتقديم الذبائح والتبرك
وعوّاشة اسمها الحقيقي عائشة وهي إحدى الجنّيات
وفي فن الفقيرات عندها أغنية باسمها وهي ما يقابل

فإنّ في قسنطينة نجد المكان الذي تظهر فيه الجنية عواشة ليلا يسمّى حاليا a piscine وتوجد مغارة عوّاشة على يسار المسبح ، حيث يوجد مكان مخصص لها ، وكانت فيه بركة مياه فيها ماء تدخل النساء للعوم فيه ابتغاء البركة والشفاء بمياهها .

- **الهيئة العامة** :تُصور غالباً كإمرأة فائقة الجمال، ذات شعر أسود طويل جداً ومنسدل، وبشرة بيضاء شاحبة كالثلج، مما يمنحها مظهراً ساحراً وغموضاً مخيفاً في آن واحد.

- **اللباس** :ترتدي دائماً رداءً أو فستاناً أبيض ناصعاً وفضفاضاً (يشبه السفساري أو الملحفة التقليدية)، وهو ما يربطها بالأرواح الطاهرة أو الهالات الغيبية في طقوس "النشرة."
- **العيب الخفي** :العنصر الأكثر رعباً في تفاصيل صورتها الأسطورية هو أقدامها؛ حيث تخفي تحت فستانها الطويل حوافر تشبه حوافر الماعز أو البغال بدلاً من الأقدام البشرية.
- **المحيط البصري** :تُخيل دائماً في ظلام الليل، محاطة بضباب خفيف بالقرب من مصادر المياه (الأودية، الينابيع، أو المغارات الرطبة) أو تحت أشجار التين القديمة ("الكرمة") حيث تُشعل لها الشموع ويصعد بخور الجاوي.

وتوجد كثير من الشهادات رصدتها الصحافة الفرنسية إبّان فترة الاحتلال على ظهور الجنيّة عائشة لمن كانوا يزورون المكان ، تلبس الأبيض ، وشعرها أحمر ، وهناك من رآها على هيئة دابّة بيضاء ، تظهر وتختفي في الظلام .



تكثر هذه الظواهر في قسنطينة لأنّ فيها كان أبو العبّاس البوني صاحب شمس المعارف الكبرى ، وفيها كان أبو سليمان اليهودي صاحب كتاب " السحر الجامع والسر النافع " ، وكذلك نجد آثارا لخلوة البوني في مغارات وكهوف قسنطينة ، كما أنّها كانت مركزا لأعمال وطقوس روحانية كثيرة مثل زردة سيدي مسيد التي كانت تقدّم لأرواح المغارات والجن الساكنين في مغارات وكهوف وادي الرمال .



كهف ومغارة في مدينة قسنطينة في الجزائر



مغارات وكهوف قديمة من العهد الفينيقي في قسنطينة /الجزائر

وتوصف في أغاني ومدائح الفقيرات أنّها : قاعدة في الكرسي، تشرب فالسبسي ، وأنها بنت بن عباس ، فهي ذات نسب وحسب في عالم الجن .

والمراجع التي أرخت للثقافة في قسنطينة منذ العهد الفينيقي الذي سمّى وأسّس المدينة منذ 500 سنة قبل الميلاد ، نجد فيها دليلا عظيما على مكانة المدينة الروحي ، الذي جعل اليهود يتخذون منها مركزا لهم في الشرق الجزائري .



من كهوف ومغارات قسنطينة في الجزائر